فلعل هذا ما دعاهم إلى العودة لمراجعة المعنى اللغوي عادلين عن المعنى الاصطلاحي الحادث، ليأتي التأويل على ما رأينا.

لكن غلبة الاستعمال القرآني، تدفعنا لبحث الوجه الآخر، فبرغم أن السياق الموضوعي (الحديث عن الزرع) يرجح المعنى الأول (الزراع) فإنه لا ينفي معنى الكفر الاصطلاحي (نقيض الإيمان).

ونجد في الآيات بعض الإشارات غير الصريحة:

الآية السابقة عليها، تفرق بين فئتي المؤمنين والذين كفروا، فأولئك لهم أجرهم ونورهم، والذين كفروا هم أصحاب الجحيم!

أمَّا الآية الوارد فيها اللفظ فتبدأ بلفظ ﴿اعلموا﴾.

خطاب آمرٌ عام، موجه للفئتين، للفصل بينهم فيما اختلفوا فيه؛ الحياة الدنيا.

ثم يأتي لفظ «يعجب» وقد عرف فعل التعجب في اللسان بـ «يتعجب الإنسان من شيء إذا عظم موقعه عنده، وخفي عليه سببه» «والعُجْبُ الزهو».

فمعنى اللفظ فيه ذلك الغرور والانخداع بما «خفي عليه سببه» وهنا يأتي دور الفاعل، وهنا يتضح لنا سبب التخصيص، الذي هو جواب المسألة؛ فالتفرقة التي تقدمها الصورة، بين الفئتين هي أن فئة «الكفار» هي التي يقع منها الإعجاب.

فالغيث يصيب الفريقين جميعًا، أما من ينخدع بما ينبته من خير زائف جميل، فهم الكافرون، ولما ينتهي أمره ويكون حطامًا، تكتمل الدورة وينال كلٌ فريق جزاءه ﴿وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان﴾.

ثم توصف الحياة الدنيا كلها بأنها متاع الغرور، فإن تجنب المؤمن الصادق الوقوع في فتنة هذا، فإن الكافر يجري وراءه ولا يصدق غيره، ولعل هذا يرجح أيضًا احتمال إرادة المعنى الاصطلاحي؛ الكفر نقيض الإيمان.

فلا ينبغي لنا أن نغفل العلاقة بين التركيب الموضوعي للآيتين، ولا أن نَغْفَل عن دلالة التقسيم بعد توحد الفريقين في الصورة التي ربطت بين حياة البشر وحياة النبات، ثم العودة إلى التقسيم الذي هو أصل الحديث، وفصل كل من الفئتين عن الأخرى بعملها، فأما الكافرون فبانخداعهم استحقوا العذاب، وأما الآخرون فلهم ﴿مغفرة من الله ورضوان﴾.